حالات مماثلة ، مجرد اسلوب تكتيكى يهدف الى المماطلة باكبر قدر ممكن فى الاعتراف الرسمى «بحق» بريطانيا فى جنوب اليمن الذى قاتل العثمانيون ثلاثين عاما من اجله .

وادرك المسئولون فى لندن بسرعة تكتيك المماطلة العثمانى وقرروا ان الوقت حان للانتقال من الدبلوماسية الى القوة . وكان الوضع الدولى ملائما بالنسبة للهجوم البريطانى فى جنوب جزيرة العرب : فان التحالف مع اليابان فى كانون الثانى (يناير) ١٩٠٢ ، وتوقيع الصلح مع البوريين (٣١ ايار ١٩٠٢) خلصا الامبريالية البريطانية من الصعوبات التى كانت تقيدها من اواسط التسعينات . وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٢ اتخذت الحكومة البريطانية قرارا بتعزيز حامية عدن وارسال قوات اضافية الى منطقة الضالع * .

ففى ١١ كانون الثانى (يناير) ١٩٠٣ ازداد تعداد القوات البريطانية فى امارة الضالع حتى بلغ ٩٠٠ جندى . وعزز العثمانيون ايضا حاميتيهم فى القطيب وجليلة حتى بلغ تعدادهما ٨٥٠ جنديا بالاضافة الى ٦٠٠ متطوع عربى ** . وسرعان ما تمكنت الاوساط الحاكمة البريطانية الهندية من تعزيز القوات البريطانية فى جنوب الجزيرة لدرجة اكبر حتى تحشد فى المنطقة المتنازع عليها فى اذار (مارس) ١٩٠٣ حوالى ٢٥٠٠ جندى بريطانى مع سريتين للمدفعية . وكانت حامية عدن فى الاحتياط بعد ان زيدت قواتها الى ١٤٠٠ جندى *** .

وبغية دعم القوات البرية ارسلت من البحر الابيض المتوسط الى سواحل اليمن السفينتان الحربيتان البريطانيتان «هيرميون» و«انتربيد» . وكان تحشد هذا القدر الكبير من القوات فى قطاع صغير يهدد بالتحول الى نزاع مسلح انكلوعثمانى كبير .

والى جانب التهديد الحربى لجأت بريطانيا الى التهديد

---

* Ibid., p. 15.
** Ibid., p. 17.
*** Ibid.

والوعيد دبلوماسيا . ففى ١٤ اذار (مارس) ١٩٠٣ صرح وزير الخارجية البريطانى لاندسداون الى السفير العثمانى بانه اذا لم تسحب الاستانة قواتها من المنطقة المتنازع عليها حتى الثامن عشر من اذار ولم تشرع برسم الحدود بين اليمن وعدن فان السفير البريطانى اوكونور سيغادر الاستانة . وكلف اوكونور فى الوقت ذاته باشعار الحكومة العثمانية بان حكومة بريطانيا فى حالة الرفض ستضطر الى استخدام قواتها البرية والبحرية المتواجدة فى جنوب الجزيرة العربية * . وكان لهذا الانذار الخطير تأثيره الفورى على موقف الباب العالى . ففى ١٨ آذار (مارس) اصدر السلطان العثمانى مرسوما بسحب القوات من جليلة والبدء برسم الحدود وفقا لمتطلبات بريطانيا . واضطر الباب العالى الى الاستسلام ووافق على انتقال اهم المناطق الى النفوذ البريطانى ** . وهكذا ففى اواخر آذار (مارس) ١٩٠٣ فقط شرعت اللجنة الحدودية الانكلوعثمانية برسم الحدود . ومن بداية تلك العملية ابدت قبائل جنوب اليمن مقاومة جدية لتقسيم البلاد عنوة . ورغم الحراسة العسكرية الكبيرة تعرضت اللجنة البريطانية لهجمات متكررة واطلاق النار من جانب السكان المحليين . وردا على المعارضة ضد بريطانيا قام الانجليز بعدة حملات تنكيلية ضد القبائل المتمردة ودمروا قراها وبيوتها *** .

وكانت عنيفة بخاصة مقاومة قبيلة الكتيب التى قطعت المواصلات البريطانية بين عدن والضالع وطوقت فى اواخر عام ١٩٠٣ وحدة من القوات البريطانية بقيادة الكابتن لويد جونس . وفى ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) تلقى المقيم البريطانى فى عدن الجنرال مايتلاند بلاغا من لويد جونس افاد فيه بانه لن يصمد اكثر من ٢٤ ساعة اذا لم يصله الدعم واضطرت الادارة فى عدن الى ترك اللجنة البريطانية بدون حراسة وارسلت الى المنطقة على جناح السرعة قوات نكلت بكل قسوة بقبيلة الكتيب ودمرت القرية التى جرت فيها المعركة **** .

---

* NAI, General Maitland's report ..., encl. 1 to No 63, p. 20.
** Ibid.
*** Ibid., p. 26.
**** Ibid., pp. 27-28.

وفى معرض الكلام عن موقف السكان المحليين من الانجليز كتب المقيم البريطانى فى عدن فـــــى تقرير سرى «ان عرب المناطق الداخلية يرفضون تواجدنا . . . والشخص الوحيـــد الذى يبقى مواليا لبريطانيا هو سلطـــان عبدلى لان رعاياه لا يتميزون بروح العدوان ولا يتمكنون من الصمود فى وجـــه القبائـــل المجاورة» * . وذلك هو موقف قبائل جنوب اليمن من تعيين الحدود . وتجدر الاشارة بهذا الخصوص الى ان عبد الوهاب فر بجلده فى عام ١٨٩٢ بعد ان اطلق رجال القبائـــل النار عليه اثناء المسوح والدراسات الطوبوغرافية ** .

وذللت اللجنة الانكلوعثمانية مقاومـــة السكان المحليين ورسمت فى اذار (مارس) ١٩٠٤ حدود اميرى وحوشبى وشرعت فى رسم حدود صبيحى . ولما كانت اراضى صبيحى ذات اهميـة استراتيجية كبيرة لان لها صلة بالمنفذ الى البحر الاحمر فقـد اتخذ المستعمرون البريطانيون قرارا باجراء حملة تأديبية وقائية ضد قبيلة صبيحى لتأمين عمل اللجنة دون عائق . وعندمـــا استلم المقيم سماحا من لندن باجراء هذه الحملة كانت اللجنة قد وصلت الى اراضى صبيحى . وبغية الحفاظ على سلامـــة اعضائها اضطر المستعمرون الى الاكتفـاء بارسال وحدات كبيرة الى منطقة رسم الحدود تضم اكثر من ١٠٠٠ جندى مزوديـــن بالمدفعية الجبلية *** . ورغم وجود القوات البريطانية تعرضت اللجنة فى بعض الاماكن لهجمات القبائل المحلية **** .

وفى ايار (مايو) ١٩٠٤ رسمت اللجنة الحدودية خط الحدود على طول ١٣٨ ميلا من وادى بانه ووصلت الى قرية دار ام بيم التى تبعد ٤٥ ميلا عن مضيق باب المندب ***** . ومع ان البقية الباقية من الاراضى الممتدة حتى باب المندب قد انجزت

---

* NAI, Proceedings, February, 1907. General question of Policy in the Aden Hinterland. Withdrawal of troops from Dala. Encl. 1 to No 284.

** NAI, General Maitland's report . . . , p. 31.

*** Ibid., p. 32.

**** Ibid., pp. 33, 34, 36.

***** Ibid., No 64, p. 42.

دراستها من قبل اللجنة الحدودية الا ان مسألة البت فى عائدية مخرج البحر الاحمر ظلت دون حل بسبب الخلافات التى نشأت بين بريطانيا والاستانة بهذا الخصوص .

فقد طالبت الاستانة بان تمتد الحدود من دار ام بيم حتى جبل حرز ورأس العارة ، ويعنى ذلك ان كل ساحل باب المندب العربى ، بما فيه رأس شيخ سعيد ، يقـــع تحت السيطرة العثمانية * . ورفضت بريطانيا الادعاءات العثمانية الاقليمية ، الا ان اعضاء اللجنة البريطانية اكدوا فـــى تقرير سرى الى رئاستهم ان قبائل المنطقة التى يدعى العثمانيون باراضيها تدفع الضريبـــة للسلطات العثمانية فى مخـــا من زمان ولا تعترف بالسيادة البريطانية ** . وردا على المطالب العثمانيـــة الجديدة اعلن الجانب البريطانى ان الدراسات الطوبوغرافية الاخيرة بينت ان اراضى قبيلة صبيحى الواقعة تحت الحماية البريطانية تشمل ٥٥٠ ميلا مربعا اضافية شمالى «خط وهاب» ويحدها خط جبـل لعمان – جبل العقمة – الكدام *** . اما فـــى الواقع فان شيوخ القبائل القاطنة فى هذه الاراضى ، كما اعترف المقيـــم البريطانى فى عدن مايتلاند ، يدفعون الضرائـــب الى السلطات العثمانية فى مخا ، الامر الذى يدل بوضوح على ان هذه القبائل لا تعترف بالحماية البريطانية ، وبالتالى ليست داخلة ضمـــن منطقة النفوذ البريطانى **** . زد على ذلك ان الحكومـــة البريطانية كانت قد كذبت فى عام ١٨٩٧ ، على لســـان رئيس وزرائها سولسبيرى اشاعة احتلال القوات البريطانية لشيخ سعيد واعلنت انها تعتبر شيخ سعيد من ممتلكات الاستانة ***** . كما اعترفت الوثيقة البريطانية الرسمية الوحيدة الخاصة بشيخ

---

* NAI, Proceedings, June — July, 1905. Aden boundary commission. Negotiations with the Porte in connection with the delimitation of the Subeihy border and the north-east frontier of the Aden Protectorate. No 312.

** Ibid.

*** Ibid., No 192

**** NAI, General Maitland's report . . . , encl. 1 to No 63, p. 38.

***** Ibid., p. 39.

سعيد ، وهى مذكرة وزير شؤون الهند المؤرخة فى ٩ نيسان (ابريل) ١٨٩٧ بان رأس شيخ سعيد هو «عثمانى» * . الا ان موقف بريطانيا من هذه البقعة الهامة استراتيجيا قد تغير بعد بضع سنوات . فقد صممت على عدم التنازل عنها للعثمانيين . وفى عام ١٩٠٤ كتبت وزارة الحربية البريطانية بان «الفرصة سانحة للاستفادة من رسم الحدود واعادة النظر فى مسألة شيخ سعيد» . واصرت الاوساط الحاكمة الانكلوهندية على ادراج اراضى صبيحى «الاضافية» ضمن مطالب بريطانيا الاقليمية . وكان عضو اللجنة الحدودية فيتزموريس قد اعد حتى حزيران (يونيو) ١٩٠٤ خريطة بحدود صبيحى تمتد عبر خط دار ام بيم – جبل نعمان – العقمة – الكدام ثم تستمر على ساحل البحر الاحمر حتى رأس شيخ سعيد تاركة حزاما ساحليا ونصف رأس شيخ سعيد ضمن المنطقة العثمانية ** . وفى ١١ حزيران غادر العقيد عبد الوهاب مع سائر اعضاء اللجنة البريطانية اليمن ، لكن فيتزموريس ظل فى جزيرة بريم ليعين ما تبقى من الحدود . واستقر احد اعضاء اللجنة العثمانية فى رأس شيخ سعيد *** .

وواصل الدبلوماسيون فى لندن والاستانة الصراع الانكلوعثمانى فى سبيل الحدود الافضل من دار ام بيم حتى مضيق باب المندب ، ومن القطيب الى الشمال الشرقى . الا ان الادعاءات الاقليمية الجديدة لكلا الطرفين رفضت من جانبهما . وعند ذاك اقترح الدبلوماسيون البريطانيون فى مذكرة بتاريخ ١١ آب (اغسطس) ١٩٠٤ حلا وسطا «ليثبتوا تمسكهم بروح المودة» (كما جاء حرفيا فى نص المذكرة) . واعربت بريطانيا عن موافقتها على منح الاستانة اراضى لا حق لها فيها بمساحة ٥٥٠ ميلا مربعا ، وهى ، كما

* NAI, Proceedings, October, 1904. Aden Boundary Commission. Negotiations with the Porte in Counection with the Delimitation of the Subeihy border and the north-east frontier of the Aden Protectorate. No 420.

** NAI, June — July, 1905. Negotiations with the Porte . . ., No 192.

*** NAI, General Maitland's report . . ., No 64, p. 42.

زعم الانجليز ، عائدة شرعا الى صبيحى ، وبالتالى الى بريطانيا . وفى مقابل هذا «التنازل» يتوجب على العثمانيين ان يلتزموا بعدم احالة هذه الاراضى الى اية دولة ثالثة ويوافقوا على رسم الحدود من دار ام بيم حتى نقطة شيخ مراد فى رأس شيخ سعيد * . ووفقا للحدود المقترحة من جانب الانجليز ينتقل جزء من رأس شيخ سعيد الى المنطقة البريطانية ، مما يهيئ لبريطانيا فرصة الاشراف المباشر على مخرج البحر الاحمر .

كما ظهرت خلافات بين بريطانيا والاستانة بشأن حدود يافع الواقعة شمال شرقى القطيب . فقد اعتبر الانجليز بعض المناطق داخلة ضمن يافع ، ولذا فهى بريطانية ، بينما اعتبرتها مذكرات المقيم البريطانى فى عدن فى ١٨٩٤ ، اى قبل عشر سنوات من ذلك ، مناطق عثمانية ** .

فما هو سبب المطالب البريطانية الاضافية ولم طرحت فى عام ١٩٠٤ بالذات ؟

نجد الجواب على هذا السؤال فى الوضع الدولى الذى نشأ آنذاك . فَلئِن كانت بريطانيا فى السابق مضطرة اثناء تطبيق سياستها الاستعمارية فى الجزيرة العربية الى الالتفات الى مواقف منافساتها – فرنسا والمانيا وروسيا ، فان احداث ١٩٠٤ غيرت هذا الوضع . فان الحرب الروسية اليابانية التى اندلعت فى شباط (فبراير) ١٩٠٤ شغلت روسيا لامد طويل عن التنافس مع بريطانيا . اما فرنسا التى هى من منافسى بريطانيا الاساسيين فقد تحولت الى حليفة لها بنتيجة التقارب الانكلوفرنسى وتوقيع الاتفاقية الانكلوفرنسية التى ارست بداية الوفاق الثلاثى فى نيسان (ابريل) ١٩٠٤ . زد على ذلك ان موافقة بريطانيا على استيلاء فرنسا على مراكش (التى كانت تطمع فيها المانيا) ، مقابل الالتزام بعدم الاعتراض على السياسة الاستعمارية البريطانية فى مصر ، كانت تنطوى من كل بد على احتمال نزاع فرنسى المانى نشب فعلا فى عام ١٩٠٥ وشغل المانيا عن قضايا الشرق الادنى . تلك هى اسباب تزايد المطامع

* NAI, October, 1904, Negotiations with the Porte . . ., No 492.

** See Foreign office Confidential Print: Correspondence respecting the affairs of Arabia, 1905 — 1906. Vol. 1, London, 1971.

الاقليمية البريطانية فيما يخص مسألة رسم الحدود الانكلوعثمانية عام ١٩٠٤ .

واثارت المطامع البريطانية الجديدة استياء الاستانة التى تعتبر اراضى يافع ملكا عثمانيا ، ولذا يجب ان تدرج ضمن المنطقة العثمانية . وعندما لم يعد الضغط الدبلوماسى يجدى نفعا طلب اللورد لاندسداون فى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٤ من القائم باعمال السفارة البريطانية فى الاستانة ان يطلع الباب العالى على نية الحكومة البريطانية فى ارسال سفينة حربية الى السواحل اليمانية «لحماية مصالح بريطانيا» * .

واثار هذا التهديد قلق الباب العالى فوعد وزير الخارجية العثمانية بالرد على الطلب البريطانى والتمس تأجيل ارسال السفينة الحربية .

وفى ٤ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٠٤ رد الباب العالى بالفعل ، لكنه لم ينزل عند طلب الانجليز بأية حال . فقد اعلن الباب العالى فى مذكرة سلمها موسوروس باشا ، السفير العثمانى فى لندن ، الى لاندسداون ان المناطق المتنازع عليها عثمانية بلا شك . واعتبر حدود صبيحى التى اقترحها الانجليز «غزوا سافرا» لاراضى الامبراطورية العثمانية ** .

ولم تكن لندن تتوقع مثل هذا الرد . وحاول لاندسداون ان يذكر السفير العثمانى بان السلطان وعد فى ٢٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٠٤ بتنفيذ كل مطالب بريطانيا . وبعد ان اقتنع لاندسداون بان كل الذرائع لا تفيد اعلن فى آخر المطاف ان بريطانيا ستستأنف التحضير لارسال السفينة الحربية الى البحر الاحمر بعد ان تأجل ارسالها نزولا عند رجاء الباب العالى *** .

وفى ٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٠٤ ، اى فى اليوم التالى بعد هذا اللقاء ، وصلت السفينة الحربية البريطانية

---

* NAI, Proceedings, February, 1905. Delimitation of the Aden boundary. No 1199.

** NAI, February, 1905. Delimitation . . . , No 1214.

*** NAI, Proceedings, April, 1907. Official ratification of the results of the Aden boundary delimitation. No 42, p. 12.

«بروذر باين» الى سواحل اليمن * . وواجهت الدبلوماسية العثمانية من جديد خطر الحرب فلجأت الى تكتيك المماطلة . فقد اعلنت مذكرة الباب العالى المؤرخة فى ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٤ والمسلمة الى القائم باعمال السفارة البريطانية فى الاستانة «ان الحكومتين يجب ان تمتنعا عن ارسال القوات الى اراضى القبائل التسع» بغية الحفاظ على الوضع القائم فى جنوب الجزيرة . وجاء فى المذكرة ان اللجنة العثمانية تلقت توجيها «برسم الحدود صوب الكدام بعد مضيق باب المندب على ساحل بحر عدن بشرط ان تبقى قرية تربة والآبار والاراضى المتاخمة لخط الحدود المنتهى عند شيخ مراد ضمن ولاية اليمن» ** . كما اعلنت الحكومة العثمانية فى المذكرة بانها لا تنوى ان تسلم اراضيها لاية دولة اخرى . ولزمت المذكرة الصمت بشأن الحدود شمال شرقى القطيب .

وحيرت المذكرة العثمانية الاوساط الحاكمة البريطانية ، بل وضللتها فى البداية ، لان الصياغة العثمانية للحدود المقترحة تضمنت خطأ جديا كان نتيجة لعدم الدقة او لعدم معرفة جغرافية جنوب الجزيرة ، وربما كان محاولة اخرى من جانب الدبلوماسية العثمانية لتشويش حل مسألة الحدود . وتلقى القائم باعمال السفارة البريطانية توجيها بابلاغ الباب العالى بان شرط تخلى الطرفين عن ارسال قوات الى المنطقة المتنازع عليها غير مقبول ، كما كلف باستيضاح اسباب سوء الفهم الذى اثارته المذكرة العثمانية المؤرخة فى ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٤ والتى نصت على ان تحال الى بريطانيا الاراضى التى تخلت عنها سابقا بشرط الا تسلم تلك الاراضى الى اية دولة اخرى *** . وفى ١٢ كانون الثانى (يناير) ١٩٠٥ كتب نائب ملك الهند اللورد كيرزون فى مذكراته يقول : «كنا مستعدين للقبول بالحدود من شيخ سعيد حتى دار ام بيم . . . بشرط

---

* NAI, February, 1905. Delimitation . . . , encl. 5 to No 1216.

** NAI, June — July, 1905. Negotiations . . . , encl. to No 212.

*** Ibid., No 196.

الا يقدم العثمانيون الى دولة ثالثة الاراضى الواقعة بين الكدام ودار ام بيم . اما الآن فالحكومة العثمانية مستعدة للقبول بالحدود من الكدام بدلا من شيخ سعيد ، باستثناء الحزام الساحلى بين الكدام وشيخ مراد . وهكذا قدم العثمانيون اكثر مما كنا نريد ، وهم يتوخون من وراء ذلك بلوغ هدفين . ١) يريدون افشال رسم الحدود الى الشمال الشرقى باتجاه الصحراء ، ٢) يريدون الا ترسل بريطانيا قواتها الى منطقة القبائل التسع . وبخصوص النقطة الاولى نحن لا نصر على رسم الحدود الى الشمال الشرقى ، اما النقطة الثانية فهى لامعقولة لدرجة تجعلنا نندهش لاقدام العثمانيين عليها» * .

ظل الباب العالى مصرا على تخلى الجانبين عن ارسال القوات الى المنطقة المتنازع عليها ، لكنه لم يعد يشير الى «خط الكدام» . وافاد فيتزموريس فى ١٥ كانون الثانى (يناير) ١٩٠٥ ان عضو اللجنة العثمانية لا يزال ينكر بانه استلم التوجيه الذى ورد ذكره فى مذكرة الباب العالى المؤرخة فى ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) . وكتب فيتزموريس يقول : «اعتقد انه استلم التوجيه فعلا ، ويحاول الآن فى مراسلاته مع الاستانة ان يصحح خطأ «خط الكدام» ** . ومع ذلك لم يعترف الباب العالى رسميا بالخطأ الوارد فى مذكرة ٢٩ كانون الاول ١٩٠٤ ولم يتقدم باية صياغة اخرى للحدود . ومن جديد طال امد رسم الحدود ، وهذا فى صالح الباب العالى . وعند ذاك قررت الدبلوماسية البريطانية ان تبادر بنفسها وتعلن عن كيفية فهمها للمذكرة العثمانية و«الارادة» السلطانية بخصوص رسم حدود صحيح .

وفى ٧ شباط (فبراير) ١٩٠٥ كلف لاندسداون السيد القائم باعمال السفارة البريطانية فى الاستانة بأن يبلغ الباب العالى «بان حكومة صاحب الجلالة ، رغم كون خط الحدود المذكور فى «الارادة» الجديدة يستند على ما يبدو الى تصور خاطىء عن التفاصيل الجغرافية ، تأخذ بعين الاعتبار واقع ان الباب العالى

* Ibid., No 189, p. 3.

** Jbid. No 199.

بعث الى ممثليه توجيها يهيىء لهم فرصة رسم حدود قبيلة صبيحى من دار ام بيم حتى شيخ مراد عبر جبل قوة ويترك هذا الحصن وقرية تربة مع الآبار فى الجانب العثمانى» * . وابدت الحكومة البريطانية موافقتها على الاعتراف بالـ٥٥٠ ميلا مربعا العائدة الى قبيلة صبيحى تحت الاحتلال العثمانى بشرط الا تسلم الى اية دولة ثالثة . كما كلف القائم بالاعمال بان يعلن بان حكومة صاحب الجلالة تعتبر المناطق المتاخمة ليافع ملكا لهذه القبيلة التى هى احدى القبائل التسع التابعة لبريطانيا وانها اخذت بعين الاعتبار التزام الحكومة العثمانية بعدم ارسال قوات الى هذه الاراضى . اما بريطانيا فهى تحتفظ «بحقها الذى لا جدال فيه» لارسال القوات البريطانية الى هذه المناطق فى اى وقت تتطلبه «مصالح الامن العام» ** . علما بان القائم بالاعمال يجب ان يدلى بتصريح ذى طابع انذارى ويؤكد انه اذا اثارت الحكومة العثمانية صعوبات وعراقيل لاحقة فان الحكومة البريطانية ستقطع المفاوضات الحدودية وتعين بنفسها الحدود التى تريدها وتتخذ الاجراءات اللازمة للدفاع عن مصالحها فى هذه الاراضى *** . وبغية دعم هذا الانذار بالافعال ارسلت الحكومة البريطانية الى البحر الاحمر السفينة الحربية «بيرسى» التى وصل فيتزموريس على متنها الى تربة «ليزور» اللجنة العثمانية **** . واسفرت هذه الافعال الحازمة عن نتائج مرضية بالنسبة لبريطانيا . ففى ١٤ اذار (مارس) ١٩٠٥ ابلغ الباب العالى اوكونور ان الاستانة موافقة على تلبية كل مطالب بريطانيا وقد بعثت الى لجنتها توجيها يقضى برسم الحدود من دار ام بيم حتى شيخ مراد . واعترف الباب العالى بان اراضى يافع والعوالق داخلة ضمن اراضى القبائل التسع وبانه لن يسلم الاراضى المتاخمة لحدود صبيحى الى اية دولة ثالثة ***** . وفى ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٠٥ وقع البروتوكول السادس الختامى

* Ibid., No 226, p. 18.

** Ibid., No 228, p. 18.

*** Ibid., No 226.

**** NAI, June, 1905. Negotiations . . ., No 228.

***** Ibid., No 184.

للجنة الحدودية الانكلوعثمانية الذى رسم نهائيا الحدود التى شطرت اليمن الى شطرين بريطانى وعثمانى * .

وقرر الطرفان عدم رسم الحدود شمال شرقى لكمة الاشعوب قرب القطيب ، حيث بدأ رسم الحدود باتجاه البحر ، وذلك لان التجربة اثبتت بان الحاجة ستستدعى زج قوات اضافية فى منطقة تعيين الحدود بغية اخماد عصيان القبائل اليمانية . ولذا تقرر مد الحدود من لكمة الاشعوب الى الشمال الشرقى على الخريطة فقط دون تعيينها على الطبيعة ** .

وبعد اتمام رسم الحدود اعترف فيتزموريس فى تقريره بانه «اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الوضع القائم فى عام ١٩٠١ هو اساس رسم الحدود فقد حصلت بريطانيا على اكثر بكثير مما كانت تؤمل فيه قبل رسم الحدود»*** . ورغم انجاز رسم الحدود فقد حاول الباب العالى ان يؤجل توقيع المعاهدة الخاصة التى ينبغى ان تثبت رسميا نتائج تعيين الحدود . وفى ٩ اذار (مارس) ١٩١٤ فقط وقعت الاستانة وبريطانيا على هذه المعاهدة التى اكدت ، بدون اية تعديلات ، على بروتوكولات اللجنة الحدودية الانكلوعثمانية **** .

وباستلام الاحرار السلطة ابتعدت السياسة الاستعمارية البريطانية فى جنوب الجزيرة فى عام ١٩٠٦ قليلا عن نهج المحافظين التوسعى . فقد الغى مشروعا سكة حديد عدن – لحج ومصح الجيش فى الضالع ، وصدر امر بسحب القوات البريطانية من المناطق الداخلية وعدم القيام بعمليات حربية على مسافة ١٠ اميال عن عدن بدون سماح خاص من وزير شؤون الهند ***** . وانتقدت الاوساط الانكلوهندية بشدة قرار حكومة كامبل – بانيرمان بسحب القوات من الضالع مؤكدة بان تواجدها فى المنطقة الحدودية هو وحده الذى يحول دون الغزو

* NAI, July, 1905. Negotiations ..., sub. encl. of encl. 2, No 312.

** Ibid., No 312.

*** Ibid.

**** Aitchison C. U. A Collection of Treaties ..., pp. 42-43

***** Gavin R. J. Aden under British Rule ..., p. 233.

العثمانى * . واعلن نائب ملك الهند إ . مينتو قائلا : «اذا انسحبنا الآن سنواجه بعد بضع سنين الجزيرة العربية المستقلة» ** . الا ان موظفى الادارة الاستعمارية ذوى التفكير الواقعى اعترفوا صراحة بان استمرار تواجد القوات البريطانية فى الضالع لن يقوى نفوذ بريطانيا فى المناطق الداخلية من جنوب اليمن ، وذلك «لان من المتعذر القيام فى غضون بضعة شهور بما لم يتحقق طوال الاعوام الثلاثة الاخيرة» *** . واعترفت السلطات الاستعمارية البريطانية صراحة فى مراسلاتها الدبلوماسية السرية بضعف نفوذ بريطانيا فى المناطق الداخلية من عدن . فقد كتب المقيم البريطانى فى عدن مثلا «ان منزلة بريطانيا فى جنوب الجزيرة ليست رفيعة . والسكان يعتبرون السلطان العثمانى اقوى خليفة ، ومع انهم لا يحبون الاتراك فهم يخافون منهم اكثر مما يخافون من الانجليز» **** .

لقد كانت الحدود التى انشئت بين عدن واليمن فى اعقاب صراع انكلوعثمانى حاد حاول فيه كل من الطرفين ان يستولى على اكبر قدر ممكن من الاراضى الهامة استراتيجيا حدودا مصطنعة لا تراعى كون اليمانيين المقيمين على كلا جانبى الحدود مترابطين ترابطا وثيقا بالاواصر الاقتصادية والثقافية والعشائرية التقليدية . وهذا ما جعل القبائل لا تعير اهتماما للحدود ، وغالبا ما يستعين الاشخاص الرافضون لاحكام المحاكم فى المنطقة «البريطانية» بالمراجع القضائية الاسلامية المتواجدة فى الاراضى «العثمانية» ***** .

ولكنه رغم موقف السكان اليمانيين هذا من الحدود بين عدن واليمن ظلت سياسة الامبريالية البريطانية بعد رسم الحدود موجهة نحو تثبيت وتخليد تقسيم اليمن . وكشف رسم

* "Times of India", 19.01.1907.

** NAI, February, 1907. Delimitation ..., No 263, p. 4.

*** Ibid.

**** NAI, General Maitland's report ..., encl. to No 63, p. 8.

***** Jacob H. Kings of Arabia. London, 1923, p. 83.

الحدود من قبل بريطانيا والامبراطورية العثمانية عن ضعف نفوذ كلتا الدولتين فى اليمن . فحتى عام ١٩٠٥ غدا قسم كبير من شمال اليمن تحت سيطرة الائمة الزيدية الذين تزعموا النضال التحررى للشعب اليمنى ضد السيطرة العثمانية .

٢ . نضال الشعب اليمنى التحررى ضد العثمانيين فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين

يمكن تقسيم تاريخ السيطرة العثمانية فى اليمن فى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين الى ثلاث مراحل اساسية .

المرحلة الاولى (١٨٧٠–١٨٧٦) هى مرحلة الحكم المشترك العثمانى الزيدى فى شمال اليمن . فمع ان اليمن الشمالى كله كان يعتبر عثمانيا الا ان قسما كبيرا منه كان فى الواقع تحت سلطة الائمة الزيديين الذين كانوا يستلمون معونات كبيرة من العثمانيين ويساهمون مساهمة نشيطة فى حكم البلاد . وكان المستعمرون العثمانيون ينوون تعزيز سلطتهم فى شمال اليمن بواسطة الائمة الزيديين ، بل وبسط نفوذهم على اراضى جنوب اليمن وعمان حتى الخليج العربى .

وكان الائمة الزيديون بدورهم يأملون فى الاستفادة من التحالف مع العثمانيين لوقف النزاعات والحروب القبلية وتعزيز سلطتهم فى المناطق الجبلية من اليمن . الا ان تدهور وضع الامبراطورية العثمانية دوليا وداخليا فى اواخر سبعينات القرن التاسع عشر ، وكذلك مقاومة بريطانيا لمطامع الاستانة فى جنوب اليمن ارغما الباب العالى على تأجيل مخططات اخضاع الجنوب وابداء اهتمام خاص بتعزيز مواقعه فى شمال اليمن على الاقل . وبنتيجة هذا الانعطاف فى السياسة العثمانية فى اليمن ، وهو الانعطاف الذى يشكل المرحلة الثانية من السيطرة العثمانية على اليمن (١٨٧٧–١٨٩٠) انتهى الحكم المشترك بين السلطات العثمانية والائمة الزيديين . فقد نحت الادارة العثمانية الزيديين عن الحكم تدريجيا وشددت لدرجة كبيرة من استغلال السكان اليمنيين حيث فرضت عليهم ضرائب مرهقة

كانت تجبى بالقوة فى الغالب . واثار تعسف السلطات العثمانية وجشعها ومصادرة الاغذية طول الوقت والتضييق على حرية القبائل سخط اليمنيين . وكانت مصادرة اراضى واملاك كبار الملاك العقاريين اليمنيين من قبل العثمانيين قد الحقت ضررا محسوسا بالمصالح الاقتصادية للفئات المتنفذة فى ولاية اليمن وغيرت لدرجة كبيرة موقفها من السلطات العثمانية .

وهكذا ادت سياسة النهب العثمانية الى تقوية سلطة العثمانيين بعض الشىء فى شمال اليمن وزادت من مداخيلهم من جهة ، ومن جهة اخرى اثارت سخط كل فئات السكان اليمنيين على الاستانة ، وسرعان ما هب هؤلاء السكان ضد السيطرة العثمانية . وكانت نضالاتهم فى بادىء الامر ذات طابع عرضى عفوى . ولكنه اعتبارا من عام ١٨٩١ بدأ عهد الحركة الوطنية التحررية اليمانية الشاملة (المرحلة الثالثة من السيطرة العثمانية فى اليمن) . وانتهت هذه المرحلة بحصول الامامة الزيدية التى غدت فيما بعد نواة لليمن المستقلة ، على الحكم الذاتى الفعلى فى عام ١٩٠٨ والقانونى فى عام ١٩١١ .

اندلعت الانتفاضة اليمنية الشاملة الاولى فى عام ١٨٩١ حيث بلغ السخط على السيطرة العثمانية اوجه . وفى هذه الفترة بالذات دعا امام الزيدية الجديد محمد بن يحيى حميد الدين رعاياه الى النضال ضد المحتلين . واستجابت لهذه الدعوة كل القبائل الزيدية وبعض القبائل الشافعية فى الجبل وتهامة فهبت حاملة السلاح ضد السيطرة العثمانية فى اليمن الشمالى . واحرز الثوار فى البداية انتصارات كبيرة فحاصروا الحاميات العثمانية فى صنعاء وحجة وعمران ومدن اخرى . وفى ربيع ١٨٩١ بدأت الانتفاضة ضد العثمانيين فى سنجق عسير التى كانت اداريا ضمن ولاية اليمن فى فترة السيطرة العثمانية . والحق ثوار عسير الذين ازداد عددهم بسرعة هزائم كبيرة بقوات الاحتلال العثمانية * .

ولم تلتزم بريطانيا اطلاقا بسياسة الحياد وعدم التدخل

* NAI, February, 1892. Revolt in Yemen. No 256, 266.

اثناء الانتفاضات ضد الاستانة . فقد حاول المستعمرون البريطانيون الاستفادة منها لتعزيز نفوذهم فى شبه الجزيرة العربية واخذوا يزودون الثوار بالسلاح والعتاد ويستثيرون صدامات جديدة بين القوات العثمانية والقبائل العربية . الا ان الانجليز عندما ايدوا الكفاح التحرى فى ولاية اليمن كانوا فى الوقت ذاته يخشون من اتساع نطاق هذا الكفاح الذى يمكن ان يسير فى وجهة معادية لبريطانيا وينتقل الى محميات اليمن الجنوبى . وفى هذه الحالة كان من شأن السلاح البريطانى ان يصوب الى الانجليز انفسهم . وانطلاقا من تفضيل بقاء اليمن الشمالى تحت سيطرة الامبراطورية العثمانية الضعيفة وليس تحت سيطرة المانيا او فرنسا ، لم تكن لدى المستعمرين البريطانيين مصلحة فى تصفية الهيمنة العثمانية بالكامل فى عسير واليمن الشمالى . وهذا هو سبب موقف المستعمرين البريطانيين المزدوج من الحركة المناهضة للعثمانيين فى شبه جزيرة العرب . فمن جهة كانوا يزودون الثوار بالسلاح والعتاد ومن جهة اخرى يحاولون اعاقة اندماج النضالات المناهضة للعثمانيين فى حركة وطنية تحررية متلاحمة .

واعتبارا من ايلول (سبتمبر) ۱۹۰۱ اتسع نطاق الكفاح ضد العثمانيين فى شمال اليمن لدرجة تهدد بالخطر . ولم يتمكن العثمانيون من التضييق على الثوار وزحزحتهم الى صعدة وحجة الا بعد وصول امدادات كبيرة . ونكلت الحملات التأديبية العثمانية بالثوار فدمرت اثناء عمليات التهدئة حوالى ۳۰۰ قرية يمانية * . الا ان الحركة التحررية لم تخمد رغم التنكيل الوحشى .

وفى عام ۱۹۰۲ اندلعت الانتفاضات المناهضة للعثمانيين من جديد فى عدد من مناطق اليمن الشمالى ، وكانت اشارة الى حلول مرحلة جديدة فى النضال التحرى للشعب اليمنى . ففى حزيران (يونيو) ۱۹۰۳ ابلغ والى اليمن العثمانى الباب العالى فى مراسلاته السرية بان المتمردين استولوا على قسم كبير من البلاد . وبات العثمانيون يسيطرون فقط على بعض المدن الكبيرة فى شمال اليمن . وحقق النضال ضد العثمانيين نهوضا كبيرا فى عام

* Ingrams H. The Yemen . . . , p. 58.

۱۹۰٤ ، بعد وفاة الامام محمد حميد الدين ومبايعة ابنه يحيى اماما جديدا للزيدية . وفى تلك الفترة كانت احوال سكان اليمن متدهورة للغاية ، لان الجفاف الذى استمر عدة سنين جعل البلاد تعانى من مجاعة رهيبة اودت بحياة اهالى قرى بكاملها . ففى مناطق انس واب وتعز وحدها اودت المجاعة بحياة ٦٠ الف شخص فى السنوات الاولى من القرن العشرين * .

ولم تقدم السلطات العثمانية معونة تذكر للجياع ، مما شدد من حقد الاهالى على المحتلين . وفى هذا الجو دعا الامام يحيى اليمنيين للجهاد ضد الطغيان العثمانى . فقد اتهم الامام يحيى العثمانيين السنة باضطهاد الشيعة فى اليمن وبمحاولة تصفية الزيدية فركز فى كل مطالبه على «احياء الشريعة الاسلامية» بوصفها اساس القضاء والعدالة فى شمال اليمن . وكان سبب هذه المطالب هو نية السلطات العثمانية فى تصفية نظام الحكم الزيدى واستبداله بالنظام المطبق فى الولايات الوسطى من الامبراطورية . وكانت مستحدثات الولاة العثمانيين الذين سعوا الى تنصيب صنائعهم فى الجهاز الادارى القديم قد سددت ضربات محسوسة الى مصالح الاقطاعيين والموظفين وعلماء الدين اليمنيين . ولذا كان موقف يحيى الذى دعا الى حماية الشريعة قد رفع منزلته فى انظار عامة الناس وفى انظار الوجهاء والمشايخ بين السكان الزيدية الذين كانوا يشكلون اغلبية اليمنيين .

ولبى دعوة الامام يحيى ليس الزيديون فقط ، بل وبعض القبائل الشافعية التى كانت تعانى من جور المحتلين العثمانيين لا اقل من معاناة الزيديين . وكان تعاون هاتين الطائفتين المتعاديتين من زمان ينطوى على بواكير التلاحم الوطنى الذى بدأ آنذاك واسفر عن تأسيس الدولة اليمنية المستقلة .

وجمع الامام يحيى قوى متطوعة كبيرة من القبائل وحرر اكبر مدن الجبل من المحتلين العثمانيين وحاصر الحامية العثمانية الكبيرة فى العاصمة اليمنية صنعاء فى اواخر عام ۱۹۰٤ . واستمر الحصار حوالى ستة اشهر وصد الزيديون كل محاولات فك الحصار ، وفى ۱۳ نيسان (ابريل) ۱۹۰٥ استسلمت الحامية العثمانية . ووقع

* عبد الوسيع بن يحيى الوسيع . تاريخ اليمن . . . ص ۳۰۰ .